



ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: <https://wjfh.uowasit.edu.iq>

Iman Ghazi Ahmed

University of Basra
College of Arts
Department of Arabic Language

Keywords:

story - Mubahala - language -
rhetoric - Fatimid composition -

**The Mubahala Verse: The Qur'anic
narrative perspective of the Fatimid
formative existence
An analytical-fundamental study in
language and rhetoric**

A B S T R A C T

The Mubahala verse in Surat Al Imran represents a narrative system rich in the rhythms of the Arabic story, and with vocabulary and linguistic and semantic elements, which appear clearly and clearly to represent a major pillar of the Qur'anic stories in Surat Al Imran in particular and the surahs of the Holy Qur'an in general.

The story of the Mubahala draws its cognitive horizons in its relationship with the other, and it intersects at the same time through the travails of Islamic existence and formation with the denial of this existence and the attempt to distort it. The story of the Mubahala has a narrative vision that seeks the travails of formation for its characters, with the colors of the narrative entrances, with its people and heroes who are primarily concerned with the discourse.

The narrative structure of the Mubahala story appears in three semantic patterns in which the narrative axes emerge. It is embodied in the events, the paths of the characters, and the time and place of the story, and it extends as a dramatic plot.



DOI: <https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss4.796>

المنظور القصصي القآني في آيه المباهلة

دراسة تحليلية

م. د إيمان غازي أحمد

جامعة البصرة كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الملخص

تُمثل آية المباهلة في سورة آل عمران منظومة قصصية غنية بإيقاعات القصة العربية، وبمفردات وعناصر لغوية ودلالية، تظهر بصورة واضحة وجلية لتمثل ركنا رئيساً في القصص القرآني في سورة آل عمران خاصة وسور القرآن الكريم عامة.

ترسم قصة المباهلة أفاقها المعرفية في علاقتها بالآخر، وهي تتقاطع في الوقت نفسه عبر مخاض الوجود والتكوين الإسلامي مع انكار هذا الوجود ومحاولة تشويهه، فقصة المباهلة ذات رؤية سردية تتشد مخاض التكوين لشخصياتها، بألوان المداخل السردية، بأشخاصها وأبطالها المعنيين في الأساس بالخطاب.

إنّ البنية الحكائية لقصة المباهلة تتمظهر في ثلاثة أنساق دلالية تبرز في بوتقتها محاور السردية، وهي متجسدة في الأحداث ومسارات الشخصيات وزمان الحكاية ومكانها، وهي تمتد بحبكة درامية.

الكلمات المفتاحية: القصة، المباهلة، اللغة، البلاغة، التكوين الفاطمي

أسباب نزولها وتفسيرها

كتب النبي (ص) الى أسقف نجران عندها قدم وفد نجران من كبار نصارى نجران وعلمائهم لمقابلة الرسول (ص) الى المدينة دخلوا على الرسول(ص) المسجد وجعلوا يحاجونه في عيسى ويزعمون فيه النبوة، أي أنه(ابن الله) والألوهية، أي: هو الله أو هو ثالث ثلاثة (تعالى الله علواً عن ذلك)، فدعاهم الى المباهلة لتقنين رأيهم واسقاط حجبتهم في نبوة عيسى(ع)، فقالوا نرجع وننظر، فلما تخالوا مع بعضهم وتشاوروا في أمرهم، وادعوا الرسول (ص)، فأتى وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي وعلي خلفها وهو يقول: إنّ أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بهم، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة، فقالوا يا أبا القاسم رأينا أنّ لا نباهلك وأن نفرك على دينك ونثبت على ديننا...فصالحهم على الجزية، وقد كان دعاء الرسول الى المباهلة ليتين الكاذب من خصمه ويتبين من الصادق، ولقد ضم الأبناء والنساء ليكون الأمر أكد في الدلالة على ثقته(ص) بحاله واستيقانه بصدقه، ولو هذه الحال ما استجرأ على تعريض خاصته واعزته وأفلاذ كبده وأحب

الناس اليه لهذا الأمر، فلقد كان على وثاقة من كذب خصمه حتى يهلك هذا الخصم مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت

المباهلة، وفي هذا كله برهان على صدقه (ص) وصحة نبوته⁽¹⁾.

إذن نزلت الآية الكريمة في خمسة: النبي الأكرم (ص)، والإمام علي (عليه السلام)، والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، والإمامين الحسينيين (الحسن بن علي والحسين بن علي عليهما السلام).

توطئة

إن آية المباهلة في سورة آل عمران تُعدّ منظومة قصصية غنية بمفردات وعناصر لغوية ودلالية، تظهر بصورة واضحة وجلية لتمثل ركنا رئيساً في القصص القرآني في سورة آل عمران خاصة وسور القرآن الكريم عامة.

ومثلت هذه الآية بمضامينها ومحتواها كبريات المسائل العقائدية التي انصبت جميعها حول مركزية الاسلام والإمامة، إذ يُستدل بها في طرح مشروعية الفكر الإسلامي - الشيعي، عبر ما انبنت هذه الآية على المعاني والدلالات المستنبطة من استراتيجيات الخطاب وتضيد الكلام فيه.

وإن من التساؤلات التي على أساسها بنيت حيثيات هذا الفصل الموسوم بـ ((سورة المباهلة : المنظور القصصي للوجود التكويني الفاطمي)) ما عناصر القصة في آية المباهلة وآل عمران السورة التي وردت فيها القصة؟ وهل للسور المدنية عمارة وبناء يختلف عن السور المكية من حيث الاستقراء والوصف والتحليل؟ واستئناف عملية التحديد والتعيين؟ وكيف يمكن تحديد مضامين القصة القرآنية الواقعية؟ وما أثر الغياب والحضور في بيان الدلالة القرآنية في آية المباهلة؟ وأثر التوجيه الأسلوبي في بيان مسار مضمونية المفردة القرآنية؟.

هنا تتجسد محاولة استجلاء القيم المفهومية في التعبير عن واقعة المباهلة التي وردت في سورة آل عمران، وهي محاولة جدية في بيان أثر المفردة القرآنية وطاقتها التأثيرية في وصف الواقعة المباركة التي ختمت بالنصر للرسول الاكرم(ص) على نصارى نجران، وتتويجا شرعيا لرسالته العالمية.

ترسم قصة المباهلة أفاقها المعرفية في علاقتها بالآخر، وهي تتقاطع في الوقت نفسه عبر مخاض الوجود والتكوين الاسلامي مع انكار هذا الوجود ومحاولة تشويهه، فقصة المباهلة ذات رؤية سردية تتشد مخاض التكوين لشخصياتها، بألوان المداخل السردية، بأشخاصها وأبطالها المعنيين في الأساس بالخطاب.

إن البنية الحكائية لقصة المباهلة تتمظهر في ثلاثة أنساق دلالية تبرز في بوتقتها محاور السردية، وهي متجسدة في الأحداث ومسارات الشخصيات وزمان الحكاية ومكانها، وهي تمتد بحبكة درامية.

أولاً : المفتاح القصصي - الدلالي الكاشف.

عُرِفَ النصّ القرآني بأن كلّ حرف فيه يؤدي غرضاً قصدياً ومعنوياً في آن واحد، فهو يثير الأذهان، ويحفز العقول ويدفعها للتأمل والبحث والتحليل العلمي المدروس، وآية المباهلة الكريمة خير شاهد على ذلك، فقد وردت فيها عناصر القصة المتكاملة بل وردت في سورة آل عمران خمس قصص هي (2):-

١- قصة امرأة عمران التي بدأت بقوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ...) (3).

٢- قصة مريم (ع) وقد وردت في قوله تعالى: (... قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْئِي لَكَ هَذَا...) (4).

٣- قصة زكريا (ع) التي وردت في قوله تعالى: (... وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا) (5).

٤- قصة عيسى (ع) وقد وردت في قوله تعالى: (... يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...) (6).

٥- قصة المباهلة : الواردة في قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...) (7).

هذه القصص الخمس لإنارة أهم المحاور الفكرية التي وردت في سورة آل عمران، وأخصها بالذكر قصة أو آية المباهلة المباركة التي هي من أهم القصص ذات المنحى الحجاجي، إذ تبدأ آياتها بالحجاج الفكري العقلي بالفعل (حاجك)، فهذه الآية تبدأ بدلالة التفكير والتأمل العقلي بحقيقة المحاجة بين الرسول الأكرم (ص) ونصاري نجران، وفي الوهلة الأولى نحاول الوقوف على العتبة النصية للفظ المباهلة التي اتخذت مساراً استراتيجياً لتصوير اسما لقصة أبطالها خارج مسارات الأبطال العاديين.

رؤية المسار التكويني لأبطال سورة المباهلة

تمتد الرؤية التكوينية في آية المباهلة الى:-

أولاً: البعد الوجودي - التكويني لأبطال واقعة المباهلة.

البطل هو الفاعل الرئيس للأحداث، ولا يقتصر على شخص بمفرده ، بل قد تمتد البطولة الى شخصيات أخر، وقيل البطل هو: ((الشخصية التي تتلقى الصيغة الانفعالية الأشد قوةً وظهوراً)) (8) ، وعند غرايماس البطل هو الفاعل الرئيس للأحداث (9) ، إذن البطل هو الشخصية الناهضة بالقيادة سواء مع الفاعلين الآخرين أم في تسيير مجرى الأحداث السردية - القصصية.

البطل الرئيس والأول في قصة المباهلة هو الرسول الأكرم(ص) الذي نهض بقيادة الأشخاص والأفعال، وتجسدت هذه القيادة النموذجية بأول لفظه تدل على الأمرية في الآية، في الجملة الفعلية(تعالوا)، فهذا القول هو خطاب موجه الى جملة فاعلين المتمثلين بنصاري نجران، وشكل هذا القول انطلاقة الأحداث ، وتبلورت قيادة الرسول بإصدار هذا الأمر الذي صدع من الوهلة الأولى في متلقي هذا الخطاب، لتنتقل بعد ذلك شرارة الأحداث وتتوالى على نحو التحدي والمعارضة.

وثمة أبطال آخرين نموذجيين أيضاً أسهموا في صناعة الأحداث وتصعيدها وتواترها وتطورها، وهم كل من:-

نفس محمد= الإمام علي(ع)

نساء محمد = السيدة فاطمة الزهراء (ع)

أبناء محمد = الحسن والحسين (ع)

وحلل الزمخشري ما تدل عليه الآية بقوله: ((وقدمهم على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها ، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي(ص) لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا الى ذلك))⁽¹⁰⁾، كما علق السيد الطباطبائي على اصطحاب الرسول(ص) هذا الجمع المبارك قائلا: ((هذه خصوصية لا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم اليه خلق))⁽¹¹⁾، وأضاف((فلمن حضر مع رسول الله(ص) وهم علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام شركة في الدعوة مع رسول الله (ص) وهذا من أفضل المناقب التي خصَّ الله به أهل بيته عليهم السلام))⁽¹²⁾.

نستشف من هذا التعليق أنَّ الرسول (ص) عمد الى هذه الصحبة لتحقيق هدف أسمى متعلق بالعقيدة الدينية، فهؤلاء هم خاصة الرسول ولا يوجد على الأرض من هو أعز منهم عنده ولا أرفع شأنًا ولا أرفع مقامًا، وأنَّ تخصيصهم بالمباهلة لم يكن أمرًا عفويًا أو مرتجلاً ، بل كان بأمر الهي مخطط له من السماء، له أهدافه وغاياته المقدسة، وقد سئل الرسول (ص) عن سبب هذا الاختيار، فأجاب قائلا ((لو علم الله تعالى أنَّ في الأرض عبادا أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء فغلبت بهم النصارى))⁽¹³⁾.

بتحليل مقاصد هذا الحديث الشريف نراه يوحي الى جملة من الأمور ويؤكد على مضامين أخرى تنطوي عليه دلالة هذا الاختيار الرباني، منها : أنَّ اختيار الله تعالى الرسول وأهل بيته للمباهلة خاصة هو أمر تنضوي تحته معارف فكرية دينية وعقائدية ودلالات ذات منحي سياسي ، فهذا الاختيار قد مثَّل حقيقة الوجود الامتدادي لمشروع الإسلام الخالص، وأنهم أفاضل أهل بيت الرسول ، بل هم أهل البيت المعصومون خاصة.

ثانيا: الزهراء (عليها السلام) قطب الرحي في الشخصيات الفواعل في خطاب المباهلة.

مما لا شك فيه بالدلائل والبراهين والاستنباطات والاستدلالات أنَّ الشخصيات المؤمنة في قصة المباهلة شكلت ركائز في البعد التكويني - الوجودي في اتجاه المنظور الاسلامي ، والمنظور الشيعي، لأنَّ اختيارهم - كما سبق التنويه- لم يكن عشوائيا ، بل هو تعيين سماوي واختيار إلهي هادف ، عميق الفكر واسع الفائدة ، ومثلت الزهراء قطب رحي التكوين في هذا التجمع الفضيل، فهي الجوهر الوجودي المتعدد الأطراف، لأنها استوعبت بوصفها ايقونة الصبر والايمان مدارات النبوة والامامة والعصمة، فضلا عن ذلك أنَّ مصاديق آية المباهلة قد التقت وتشابكت علائقها الدينية وعقائدها الإسلامية مع مصاديق حديث الكساء، فالجمع الكريم نفسه

والغايات نفسها والمنهج ذاته، وكانت الزهراء في حديث الكساء، وكذا الحال في واقعة المباهلة، قد مثلت الجوهر الفضيل في المقام الرباني وصورة الإنسان المتكامل الأبعاد والغايات، ومن فيض جلالها فيها صفات تكوينية تعدت آثارها سائر الموجودات، فهي النور الساطع والتأثير التكويني، وهي الطاهرة المطهرة التي كان لها الولاية التشريعية بنقويض من الله تعالى بإرادته ومشينته، فالحادثة في بيتها وتحت الكساء أبوها وزوجها وابناها الحسين والحسين، فهي -إذن- الوجود التكويني العابر للزمان والمكان، حتى أضحت من لوازم النبوة والامامة والعصمة في شخصها الكريم، هذه ومضات من بعدها الوجودي والتكويني. فضلا عن ذلك ثمة شخصيات تفاعلت مع الأحداث بشكل أو بآخر، وكانت أقل ركيعة في تصعيد هذه الأحداث، وهم نصارى نجران الذين مثلوا الطرف الآخر في المباهلة، وهم في الوقت نفسه مثلوا الجهة المعارضة والمنافسة للأبطال الرئيسيين.

ثالثا: استراتيجيات الخطاب القصصي في الآية.

الملاحظ أنّ آية المباهلة اتخذت هذا العنوان من ورود الفعل (نبتهل) فيها، وهو فعل مضارع مثبت يدل على المشاركة الجمعية في حدث المباهلة، وهذا الفعل صدر من ¹⁴لقائد الأول الذي مثل جهة الديانة الإسلامية النبي محمد(ص)، وهو فعل أمر توجيهي، إذ وجه خطابه الى نصارى نجران، وقد مثلوا جهة الديانة المسيحية. إذن المباهلة صيغة لفظية مشتقة من من الفعل الثلاثي (بهل)، ويأتي لمعان ودلالات عدة، منها: معنى التخلية، كما في قولهم: بهلته، إذا خلّيته وإرادته، وجنس من الدعاء، ومنه الابتهاال والتضرع في الدعاء، نحو قوله تعالى: (تُمْ تَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَكَ الْكَاذِبِينَ) ، والمعنى الآخر: البهل وهو القلة في الماء، أو الماء القليل⁽¹⁵⁾.

وقيل الأصل في البهل كون الشيء غير مراعى، ومنه البعير الباهل الذي تخل عن قيده، أو عن سمّه، وقد يُفسر الابتهاال باللعن⁽¹⁶⁾. أما الابتهاال فهو مصدر يرد على وجهين⁽¹⁷⁾:

١- الإلتعان أي لعنه الله.

٢- نبتهل أي ندعو بهلاك الكاذب.

وفي الدعاء: الاسترسال فيه والتضرع، وهو ما ورد في قوله تعالى: (... تُمْ تَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ ...) ⁽¹⁸⁾، ومن فسر الابتهاال باللعن فلأجل أن الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن⁽¹⁹⁾.

نستشف مما سبق أنّ المباهلة في آل عمران بمعنى الملاعة والدعاء على الطرف الآخر بالدمار والهلاك، وفيه استرسال معنى اللعن، ومعطى اللعن أن يجتهد المرء في دعائه للطرف الآخر ليكون بعيدا عن رحمة الله، أي: ندعُ بإيقاع اللعنة على الكاذبين، وهذا الدعاء الى المباهلة فيما بينهم إجماع لهم أن يعترفوا بالحق أو يكفوا

عن التبهل⁽²⁰⁾، ويتراءى لي أنّ المباهلة بمثابة اعلان وجودي وتكويني عن صراع قوى ذات منحى يترجح بين الثابت الديني والمتحول المغاير غير الديني.

وثمة فعل مضارع آخر يتعانق مع فعل الابتهاال بعلاقات دلالية وأسلوبية، وهو الفعل (فنجعل) في التركيب (نبتهل فنجعل) ، فهذان الفعلان مشتركان في الفاعل، والفاعل هنا جمعي ، وإن تكون من طرفين متناقضين (الرسول وآله) و(وفد نصارى نجران)، لكنهما متلازمين مع بعضهما بحدث الابتهاال، والجعل في اللغة يأتي بمعان خمس، بمعنى التصيير ، أي (صار) فلا يتعدى الى مفعول، فهو (فعل لازم)، وبمعنى (أوجد) ويتعدى هنا الى مفعول واحد، ويأتي بمعنى الایجاد والتكوين، وكذلك يرد بمعنى تصيير الشيء على حالة مغايرة لحالته الأولى، وبمعنى الحكم على الشيء⁽²¹⁾، ومعنى الكلام نصير لعنة الله على من كذب في بشرية عيسى(ع).

إنّ مقولة (فنجعل) تمثل الفعل المضارع الدال على استمرارية حدث الجعل والتصيير حين لحظة الخطاب، ومع دلالاته على الجمع فقد أشار به المتكلم الى أنّ الدعوة الى الابتهاال دعوة غير مردودة ، بل هي ثابتة لصدورها عن الله تعالى، لأنّ بهذه الدعوة ينماز الحق عن الباطل، والصادق عن الكاذب، لذلك لم يستبدل المولى(عزّ وجلّ) هذا الفعل بآخر نحو فنسأل، حسب ما رآه السيد الطباطبائي⁽²²⁾.

ونجد اسم فعل أمر آخر (تعالوا) وأصله من العلو والمجيء ويكون فيه الى ارتفاع ، غير أنّه كثر استعماله في كل مجيء، وهو يفيد معنى الاقبال ، إذ معناه هلموا، ولكن ليس الاقبال المادي- الجسدي، بل الاقبال المعنوي، أي معناه المجيء والقدوم بالرأي والعزم، نظير قول أحدهم تعال نفكر في هذه المسألة أو الأمر، مما تعطي هذه الدلالة بعدا تأثيريا في نفس المتلقي، وهذا بدوره يقوي مزية الاحتجاج في النص ويعضد الاقتناع فيه⁽²³⁾.

وقيل (تعالوا) : اسم فعل لطلب القدوم وهو في الأصل أمر من الله تعالى، ومنه يتعالى اذا قصد العلو، فكأنهم أرادوا به في الأصل أمرا بالصعود الى مكان عال تشريفا للمدعو، ثم شاع حتى صار لمطلق الأمر بالقدوم والحضور ، واجريت عليه احوال اسم الفعل فهو مبني على فتح آخره، ومعنى (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) أي: ادعوا أبناءكم ونحن ندعو أبناءنا، أما جرف العطف (ثم) فجاء للتراخي الرتبي.

وورد الأمرية في هذا الخطاب باسم فعل الأمر (تعالوا) يشي الى أنّ هذا الفعل فيه وجوب والزام في التنفيذ بما أنّه صادر من العالي الى الداني، لذلك هو ضمنا يدل على تعالي شخص الرسول (ص) وآل بيته على هؤلاء النصارى، ما دام هو المتصدر في القاء الأمر، ثم أعقبه فعل آخر يضاهيه في الاتجاه الدلالي والأسلوبية، وهو الفعل المضارع المجزوم بحذف حرف العلة الواو(ندع) لغرضين أساسيين، وهما: التحدي والمعارضة، وإثبات الدين الإسلامي.

المكون السردية في آية المباهلة

عند تتبع المسارات السردية والتوجيهية التي وردت في الآية لاستشعار مضامين القصة الواقعية التي تدرس من جوانب عدة ، يتبين في إطارها تحولات متسارعة في الاحداث ، فسردية الأحداث تشكل عوالم مكتنزة بالأفكار المتباينة الفناعات ، وقد احتوت هذه العوالم مسارين ، الأول: مسار الحق والتوحيد ، ويمثله الرسول الأعظم وآل بيته الكرام ، وهذا المسار مرتبط بوشائج حميمية في علاقة بعضها ببعض الآخر ، والثاني : مسار الباطل والاشراك ، ويمثله نصارى نجران، وهم على خلاف في سلوك مسلك التبهل أو تركه وفي نهاية المطاف انسحابهم منه .

إنَّ النمط السردى في قصة المباهلة قائم على انبناء حركى للشخصيات والأحداث فتتشكل مظاهر عدة تنوزع بين التفاعل بين هذه الشخصيات والاحداث بينهما ، ليعبر كلاهما عن رؤية العالم بمنظور واعي ، حسب التزامهما بقناعتها ، ويمكن رصد تواتر النمط السردى عبر التقنيات الآتية : -
أولاً: تقنية الغيبة: وتمثل البنية العميقة في النصّ القرآني، وهي موجهة إلى ضرورة انبناء النسق الحوارى في الآية الكريمة على خصائص التوحيد والبصيرة واليقين .

إنَّ القصة متحققة في زمان ومكان محددين، يتعزز ذلك بالدليل العقلي، المحكوم بشروط متواترة كان الإفصاح عنها بالضمير الذي يدل على الغيبة والتأمل لمعرفة فواعل هذه الاحداث، ففي آية المباهلة نجد الضمير (الهاء) في قوله تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ...) (24) ، يحتمل ان يكون عائداً الى أحد أمرين :-
أ- عيسى (ع) في قوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ بَخَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (25).
ب- أن يكون عائداً إلى الحق في قوله تعالى : (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (26)، أما القائمون بالحجاج فهم الذين دعاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المباهلة نصارى نجران(27).

ثانياً: تقنية الحضور : إنَّ بناء الخطاب القرآني على آلية الحضور والذكر البارز أمام القارئ المتلقي يحدد المبنى الشكلي، ويمثل الظاهرة الواضحة التي لا تقبل الشك، وتحيل القارئ إلى اكتناه المرتبة الدلالية الأعماق والأبعاد، متمثلة بمضامين الجدل والمحااجة والاستدلال لماهية الفاعل في الآية الكريمة، وإن القيام بإجراءات البحث والتقصي عن مزايا الحقيقية الثابتة الوجودية لقصة المباهلة تتحدد بمحور الحضور الذي يمكن اخضاعه لآلية التصنيف والتفصيل والتوجيه في ضوء المعطيات اللغوية والدلالية التي توجه عوالم القصة ، وهي :-
أ- الراوي: أي راوي حدث المباهلة، ولاشك في أنه ههنا في سورة آل عمران الله تعالى ،فهو يروي الاحداث بصدق وتكامل في البناء والصورة في القصة.

ب- الشخصيات: وهي تشطر الى طرفين متناقضين في العقل والفكر والثقافة والانتماء الديني، وتشظى الى مجموعتين، الأولى: تمثل الاسلام بسمته ومضمونه، والثانية : تمثل الكفر بتصادماته مع الحق والحقيقة.

ج- الاحداث: دائرة صغيرة لكنها تتحول في رمزيتها الى فضاء شاسع مترامي الأطراف، وهذه الاحداث متسلسلة ترتقي في ظلال رؤية كونية- عالمية .

وفي آية المباهلة ورد تقابل تماثلي بمشكلة بلاغية وهي أن يأتي المتكلم بكلمتين متشاكلتين باللفظ مختلفتين بالمفهوم⁽²⁸⁾، وعرف القزويني المشكلة بقوله: ((هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحته تحقيقاً او تقديرًا))⁽²⁹⁾، وهذا الفن البلاغي ورد في قوله تعالى: (... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...) ⁽³⁰⁾، هذه الآية الكريمة طرحت قصة كثيرة الاحداث والسرد ، واسعة الدلالات ، متعددة الشخصيات ، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ((صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم)) أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور الحق والبيان، فعندما قدم وفد نجران جعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والألوهية، فأنزل الله هذه السورة ردا عليهم لتفنيد ما زعموا⁽³¹⁾.

والنفس: الروح، والمنافسة : مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل وللحوق بهم، وتنفست الريح : إذا هبَّت طَيِّبَةً، وَتَنَفَّسَ النَّهَارُ عبارة عن توسُّعِهِ⁽³²⁾، وإن التَّأصِيلُ المعجمي لهذه الآية المباركة يركز على أن رسول الله (ص) أخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وقال : هؤلاء اهلي⁽³³⁾، أي يدعو كل منا ومنكم أبناءه ونسائه ومن هو نفسه إلى المباهلة⁽³⁴⁾، وهذا التخصيص من الله تعالى يشي بكشف الأبعاد النفسية التأثيرية في رسم ملامح الشخصية الاسلامية المتكاملة المتأصلة بآل البيت(ع) التي تخطت حدود القرابة والنسب وانطلقت خارج حدود الزمان والمكان، وهذا منسجم مع واقعية الحدث وقوة هؤلاء الأشخاص ودورهم في وظيفة الرسالة، وبالإمعان في مقولة(نساننا) نجد أنها تتوافق مع الحضور التكويني للسيدة فاطمة (عليها السلام) ، فالمقولة تصور البعد الرمزي اللامتناهي لشخص الزهراء، فهي الوحيدة التي تم اختيارها لتمثل المحور لأحداث المباهلة من النساء، وباستقراء هذا النص القرآني جوهريا في هذا السياق لكشف خباياه عبر قراءة خفية يفهم أنَّ الزهراء مثلت معادلا موضوعيا منحازا ومترابطا بوشائج وصلات غير منزاحة عن ثلاث ركائز، الأولى: النبوة ، فهي على صلة وثيقة بالنبوة ، فالزهراء(عليها السلام) قد استقرغت جوهرها من أي شيء آخر سوى المتعلقات الرسالية، ليس فقط بحكم الانتماء للنبي(ص) ولكن هي في كنهها كانت ولا زالت من لوازم الرسالة ، والثانية : الوصاية والخلافة ، فهي الزوج التي لازمت حيثيات جوهر الوصاية المتمثلة بالإمام علي (عليه السلام)، والمدافع الأول والأشد في التصدي لاغتصاب الخلافة عندما سُلبت في دار السقيفة، تشهد بذلك أصداء خطبتها الفدكية الغراء الى الآن، والثالثة: الإمامة ، فهي قد كانت حضنا للإمامين الحسن والحسين(ع)، وهذه الإمامة كانت مغذاة من رحيق الزهراء العبق ونسائم جلال نورها، فضلا عن صلتها الروحية بإمامة الإمام علي (عليه السلام)، هذه الركائز مثلت نهجا منظمًا وصلاحا لمركزية الإسلام، فالزهراء بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي المثال الوظيفي

الفاعل في احتواء قصة المباهلة، بل أنّ المباهلة ما تأطرت أسسها ومنهجها الا بالزهراء (عليها السلام) ، لأنّها احتوت احتواءً كل الركائز الثلاث السابقة الذكر، التي تأطرت كلها بدورها بأطر العصمة. إنّ النهاية القصصية لحدث المباهلة كانت الانتصار للنبي الاكرم ((صلى الله عليه وآله وسلم)) فالمجموعة الثانية النصارى فرغت من المغامرة بقبول المباهلة فصالحهم النبي (ص) على الجزية فانصرفوا⁽³⁵⁾. وعليه فقد حققت القصة القرآنية واقعتها عبر الربط بين أحداثها وعناصرها على صعيد البنية النصية للجملة، وقد تمثلت بلغة تعبيرية ظاهرة واضحة في أبعادها الدلالية لتدل على مصداقية المضمون ودقة المعنى المراد التركيز عليه، فتجعل القارئ يستشعر القصة ويعيش الترابط النصي بين اللفظ والمعنى.

رابعا: البناء الحجاجي - الإقناعي في الآية الكريمة.

تتبنى الخطابات المؤثرة على تقنية الحجاج ، لكي تتسم هذه الخطابات بقوة التأثير والتفاعل، والحجاج من الحجة باعتبار الصيغة الاشتقاقية، والحجة تدل على قصد الحق المطلوب، يُقال حاججتُ فلان فحججته، أي غلبته الحجة⁽³⁶⁾، والحجة كذلك الدلالة المبيّنة للمقصد المستقيم العادل الذي يقتضي صحة أحد النقيضين⁽³⁷⁾، والحجة أيضا بمعنى الدليل والبرهان⁽³⁸⁾، وفي الدلالة الشرعية الحج هو القصد الى الشيء المعظم ويختص بالقصد الى بيت الله الحرام، بصفة خاصة وزمان ومكان معينين وبشروط محددة⁽³⁹⁾، ومن ذلك المحاجة وهي ((طريقة لتقديم الحجج والإفادة منها))⁽⁴⁰⁾، والحجاج استراتيجية تتحدد بأنّها ((عملية اتصالية دعامتها الحجة المنطقية لإقناع الآخرين والتأثير فيهم))⁽⁴¹⁾.

إذن الحجاج استراتيجية عقلية - فكرية ،يلجأ اليها المتكلم لتعزيد ما يطرحه من أفكار تتعلق بموضوعة معينة، وللحجاج اروقة خطابية متعددة، إذ لا يقتصر على فكرة واحدة، ((ولا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الاطلاق))⁽⁴²⁾، إذن الحجاج وسيلة ناجعة في التأثير على المتلقي، ومدّ العملية الخطابية بجسور التواصل بين أطرافه.

وتقتضي العملية الحجاجية تواصل الخطاب الواحد بين طرفين متناقضين في الأفكار، مختلفين في التجارب والمواقف والاتجاهات، والهدف الأسمى من الحجاج هو تحقيق الإقناع، بمعنى أنّ الحجاج وسيلة والإقناع غاية. والإقناع من قنع بمعنى رضي، وقناعة ومعناها الإقبال على الشيء الذي له راضيا⁽⁴³⁾، وقيل القناعة هي الرضا بالقسمة⁽⁴⁴⁾، وفي لسان العرب المعنى قريب مما ورد أعلاه، ف ((قنع بنفسه قنعا وقناعة رضيّ ، والمقنع العدل من الشهود ، أي رضا يقنع به ويرضى رأيه وفضله))⁽⁴⁵⁾، والإقناع ممكن أن يكون القبول بالفكرة المعينة أو القبول بالرأي الآخر والاطمئنان اليه⁽⁴⁶⁾.

نستشف مما سبق أنّ المدلول اللغوي للإقناع ينحصر في الرضا والقبول وابداء الموافقة على ما يطرحه أحد طرفي الخطاب، ولا ننسى أنّ آية المبالهة أفتحت بمقوله (فمن حاجك)، واسم الموصول هنا (من) يعود الى النصارى الذين اختلفوا في عيسى بن مريم (ع).

أما مفهوم الإقناع بوصفه استراتيجية خطابية وغاية حجاجية هو ((إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي))⁽⁴⁷⁾، وهدف المتكلم من الإقناع إحداث تغيير في مواقف المتلقي المعارضة له ، ويستوجب ذلك أن ((تُستعمل استراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية))⁽⁴⁸⁾.

ويمكن ايجاز مفهوم الإقناع باستئناس المتلقي الذي يمثل الطرف الثاني في العملية الخطابية رأي وأفكار وطروحات المتكلم الطرف الأول في هذه العملية التواصلية ، حيث يتم الإقناع بإيراد الحجج والأدلة والبراهين التي تدعم مواقف ورؤى المتكلم ، لدرجة توافر الرضا والقبول والتأييد عند المتلقي والتعاطف مع طروحات المتكلم.

أما البعد التطبيقي للإقناع فيتم بتوافر آليات معينة، منها:-

أ/ جمع الحجج القوية، القابلة للتصديق.

ب/ أن تتسم طريقة عرضها بالوضوح والفهم.

ج/ يجب أن تكون الحجج مؤثرة وفاعلة عند متلقيها.

د/ ممارسة الإقناع بحرية واردة ، بدون تسلط أو ضغط.

ويمكن تلمس التقنية الحجاجية وأسلوب الإقناع في آية المبالهة من عدة محاور، منها:-

الأول: المحور اللفظي، أي ايراد الفاظ ومقولات تؤثر في المتلقي وتوجه قناعاته نحو هدف المتكلم، من ذلك استهلال آية المبالهة بالخطاب التلقيني بفعل الأمر (قل) الصادر من جهة عليا وهو الله تعالى، فهو إذن خطاب سلطوي، وما دام الفعل صدر هكذا فيستوجب الإلزام والامتثال في التنفيذ، ويفضي هذا الى الإيعاز بأنّ موجه الخطاب هو الله تعالى الى النبي محمد(ص) ، ومن ثم يكون هذا الخطاب ليس بشريا بل الهيا ، وهذا يمنح الخطاب القوة والمصدقية والواقعية في الأحداث وكذلك واقعية الأشخاص، وليس هو بدعا من النبي محمد(ص)، فهو المرسل من السماء ومن ثم هو واجب الطاعة له ، فضلا عن ذلك يندرج فعل الأمر الحقيقي ضمن الأساليب الحجاجية كما في حال بعض المقامات الخطابية التوجيهية ومنها آية المبالهة، وهكذا أفضى فعل الأمر الذي شكل خطابا مدويا في سياق هذا الحديث الى انسجامة مع قوة الواقعة من جهة وقوة الاحتجاج من جهة اخرى.

أما الفاء في قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ) (49)، فقد أفادت التفرع، أي تفرع المباهلة على التعليم الالهي بالبيان الواضح والحجة الدامغة في أمر عيسى(ع) بأنه رسول الله وليس كما ادعى نصارى نجران وغيرهم بأنه ابن الله أو أنه الله نفسه أو ثالث ثلاثة(50).

أما قوله تعالى(مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ)(51)، فالفعل: حَاجَّكَ: مشتق من (حَجَّ) ومنه حَجَّ الينا فلان: أي: قدم وجهه يحجه حجا: قصده وحجبت فلانا اعتمدته أي قصدته ورجل محجوج أي مقصود وقد حج بنو فلان فلانا إذا اطالوا الاحتجاج إليه(52).

وإيراد لفظة العلم يسوق الخطاب الى قوة الحجاج، فذا القول فيه ضمنا الوعد بالنصر والغلبة، ف ((في تنكيره صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم تطيبيا لنفسه الشريفة أنه غالب بإذن الله وأن ربه ناصره وغير خاذله البتة)) (53).

كما نجد تجلي قوة المحاجة في استعمال(ال التعريف) مع اسم الفاعل الجمعي(الكاذبين)، ولا يراد بها هنا العهدية أو الاستغراق أو الجنس، بل التخصيص، أي المعنى لا تقع اللعنة على كل كاذب أو على جنس الكاذب بل اللعنة واقعة على الكاذبين في أحد طرفي المحاجة الواقعة بين الرسول(ص) ووفد النصارى من نجران(54).

الثاني: المحور الدلالي، إن أصداء الاستهلال والاستفتاح في آية المباهلة الكريمة بقوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ) (55)، تتماشى مع أصداء الاعلان والتصريح بأن واقعة المباهلة إنما هي حدث كلي قائم على المحاجة وسوق الحجج الناجعة بين طرفين، الرسول(ص) ونصارى نجران، وقد انتهت بغلبة الرسول وآل بيته لقوة حججهم، وهذه القوة مستمدة من احضار الرسول خاصة بيته، فاطمة قطب الرحي، وزوجها وابناها، فلو لم يكن الرسول على يقين من نصره وصدق دعواه ما احضرهم معه، وانحسار وتراجع النصارى من نجران لضعفهم وخواء تفكيرهم ومن ثم وهن حججهم.

وكما كان الافتتاح مدويا، صادرا من الجليل كذلك نجد اختتام الآية منه تعالى واقعا في محاجة قوية مدوية، فقوله: (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) (56)، أي أنه تعالى علم حقائق نفوس هؤلاء النصارى، وأنهم يبغون الفساد في الحياة وليس اظهار الحق، كما توزع الآية الى نصرة الرسول(ص) وآل بيته، لأن الله تعالى عالم بصدقهم وصدق نواياهم، فهم بعيدون كل البعد عن الفساد(57).

الثالث: المحور البلاغي: إن آية المباهلة هي تفرع على قوله تعالى: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (58)، لما فيه من إيماء إلى حقيقة أن وفد نجران ممترون في هذا الذي بين الله حقيقته في هذه الآيات، أي فإن استمروا على محاجتهم إياك مكابرة في هذا الحق أو في شأن عيسى فادعهم الى المباهلة والملاعة ذلك أن تصميمهم على معتقداتهم بعد هذا البيان مكابرة محضة.

ونجد البعد البلاغي في إيراد الفعل (تعالوا) الذي أصله من العلو ومنه (تعالى): ومعناه أن يدعى الإنسان إلى مكان مرتفع ثم جعل للدعاء إلى كل مكان قال بعضهم: أصله من العلو وهو إرتفاع المنزلة: فكانه دعا

إلى ما فيه رفعة كقولك : افعل كذا غير صاغر تشريعاً للمقول له⁽⁵⁹⁾، وهذا ما ورد في قوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا
نَدْعُ ابْنَاءَنَا...)⁽⁶⁰⁾، وعليه فإن من صميم المقاربة البلاغية الموضوعية لتحليل النصّ القرآني هو بيان البؤرة
المعنوية التي تركز عليها مفردات وأصوات الآية القرآنية كونها بؤرة تحمل مؤشرات خطابية وتوصل أفكارا
ومعان توسع إدراك المتلقي على وفق أسس التحليل البلاغي للخطاب العربي.

الضمائر: ضميمة التكلم والخطاب والغيبية

تعد الضمائر إحدى الوسائل في تعريف الكلام وتحديدته وتخصيصه، وسماها سيوييه (ت ١٨هـ) الإضمار،
بقوله: ((وإنما صار الإضمار معرفة، لأنك إنما تضمّر اسماً بعد أن تعلم أن من يحدث، فقد عرف من تعني
وما تعني، وإنك تريد شيئاً يعلمه))⁽⁶¹⁾، والضمير هو الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو إلى
غيرهما بعد سبق ذكره، وهذا أصله⁽⁶²⁾.

والضمائر من الإشاريات، إذ الأصل فيها وضعها لكي يشار بها إلى متكلم أو مخاطب أو غائب، ويأتي
الضمير على نوعين: الأول الضمير المتصل، والثاني الضمير المنفصل، فالمنفصل يأتي ضمير رفع ونصب،
أما الجر فلا يكون إلا متصلاً⁽⁶³⁾.

وتعدّ الضمائر إشاريات تداولية، لاقتربانها بسياق الكلام، فضمائر التكلم والخطاب يشار بها إلى قرينة الحضور،
أما ضمائر الغيبة فقرينته المرجع السابق أو المتقدم عليه إما لفظاً أو رتبة أو هما معاً، وهذا المرجع يشكل قرينة
تدل على المقصود بضمير الغائب⁽⁶⁴⁾، ويؤتى بالضمائر - عادةً - لتؤدي وظائف عدة، منها:-

1- الإيجاز والاختصار، ومعنى الإيجاز أداء ((الغرض بأقل ما يمكن من الحروف))⁽⁶⁵⁾، أو أن يكون اللفظ
أقل من المعنى، مع الوفاء به، وإلا كان اختلالاً يفسد الكلام⁽⁶⁶⁾، والضمائر أو المضمورات جميعها يؤدي بها
الإيجاز واحتراز من الإلباس⁽⁶⁷⁾.

2- الربط: الضمائر برمتها تُعدّ من أدوات الربط لأجزاء النصّ بإحالتها إلى ما سبق، والضمير هو بديل لغوي
ودلالي ينوب عن اللفظ الظاهر، إذ يستغني به المتكلم عن تكرار اللفظ وإعادته.

3- التماسك النصي: تؤدي الضمائر وظيفة التماسك النصي لما تحمله من إحالة أو مرجعية، وهذا عائد إلى
استعمالاتها التداولية- النصية، فهي تجعل الكلام منساقاً بعضه إثر بعضه الآخر، ومتجانساً في بعده الدلالي
والبلاغي.

نلاحظ في آية المباهلة ورود جمع من الضمائر المشار بها إلى مخاطبين ينتمون إلى دائرة خطابية واحدة،
لكن الخطاب القرآني وظف هذه الضمائر بصورة مغايرة لما هو مستعمل وقار في اللغة العربية، إذ نجد في
مقولة (أبناءنا) أنّ واقع الحدث الخطابي يشير إلى مثني، أي المشار إليه في هذه الجزئية من الخطاب اثنان،
وهما الحسن والحسين، ابنا الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء، وليس هما ابني الرسول (ص)، هذا التباين ورد

في استعمال ضمير الجمع ليدل على مثني، هذا المعنى يمكن القبول به على وفق الاحتكام الى الظاهر النحوية في صياغة المعاني والدلالات، بيد أن مضمون الخطاب وحتميته يقتضي حمل الضمير (نا) على الجمع المراد به التعظيم والتوقير المشار اليهما في هذا الخطاب هذا من جهة، من جهة أخرى أن استعمال الضمير الجمعي (نا) يدخل فيه النبي محمد(ص) والإمام علي والسيدة الزهراء (عليهما السلام)، ليمثلوا الامتداد الجمعي لرسالة واحدة ، وهي رسالة الاسلام.

وتتصاعد وتيرة توظيف الضمائر وما تشير اليه في هذا الخطاب، إذ يرد الضمير (نا) الوارد في مقولة(نساءنا) ، وظاهر الخطاب أنه أُريد به مفرد وهو شخص الزهراء(سلام الله عليها) دون نساء النبي الأخريات، وأن دل هذا الاستعمال المغاير لاستعمالات العرب في دلالة الضمائر على أشخاصها وذواتها، فإنما يدل على التوقير والتعظيم والتشريف للزهراء، وأنها تتعالى في مكانتها ومنزلتها عند الله والرسول على النساء جميعا، والحال نفسها في دلالة الضمير الجمعي(نا) في مقولة(انفسنا) المشار اليه الى شخص الإمام علي(ع)، فضلا عن ذلك تُعد ضمائر المتكلمين(نا) من المؤثرات الخطابية ، فهي وسيلة لغوية ودلالية في تعيين المخاطب كما تشير انتباه المتلقي وتوثر به؛ لأنها تجعل الخطاب خطابا مباشرا مما يصيره ذلك خطابا قويا ومؤثرا.

الضمائر في النظم القرآني في آية المبالغة بين العائدية والمرجعية.

لابد للضمير من مرجع أو عائد يرتبط به ويعود اليه، وهذا الإحالة تعين المتقبل على فهم الكلام وفهمه وتحديده وتخصيصه، فاذا ما خلا الضمير من العائدية أو المرجعية صار الكلام الى غموض و التباس، ف حين يطرق النفس من غير أن يكون له عائد يعود عليه، يصيرها الى حالة من الغموض والإبهام⁽⁶⁸⁾، وبناءً على ذلك تحيل الضمائر إلى:

أ-ذات: كما في ضمائر التكلم والخطاب اللذين لا يميلان، حسب رؤية بنفيسيت الى واقعة معينة أو وضعية محددة، بل يميلان الى ملفوظ ذاتي منفرد، من هنا عُدَّ ضمير المتكلم ضميراً حركياً، لأنه بإمكان المتكلم أو المتحدث أن يستعمله في كلامه فيطبعه بسماته الخاصة به، فيحيل به الى خطابه الخاص، وكذا الحال مع ضمير الخطاب، فهو أيضاً تتحدد دلالاته حسب سياق الكلام⁽⁶⁹⁾.

ب)جهة: كما في ضمير الغائب، فهو، على رأي بنفيسيت ذو طبيعة موضوعية، يميل الى جهة معينة، وهو عنصر اشاري لا يقترن بسياق كلامي محدد، لذا عده بنفيسيت ضمير اللاشخص⁽⁷⁰⁾.

وجاء استعمال الضمائر في آية المبالغة مشحوناً بطاقتا تعبيرية وأسلوبية ودلالية، فضلاً عن تنوع المنظومة الضميرية ما بين ضمائر للتكلم وأخرى للخطاب وثالثة للغيبة، وإن طغت ضمائر التكلم والخطاب على الغيبة لإعتبارات دلالية وأسلوبية.

في البدء يطالحننا ضمير الخطاب المباشر في نص الآية الكريمة بقوله تعالى مخاطباً نبيه(ص)(فمن حاجك) و (حاجك) فالكاف في اللفظتين تشكلان ضمير مباشراً للتخاطب، ثم هناك ضمير الخطاب المستكن في فعل الامر (قل) الذي يمثل خطاباً أمرياً تلقينياً، ففي هذا الفعل يكمن ضمير الخطاب، والأصل: قل انت يا محمد، وهناك ضمير خطاب آخر وهو ضمير جمعي، موجه من الرسول الأعظم (صل الله عليه واله وسلم)الى نصارى نجران المتلقين في قوله تعالى(تعالوا) فالواو يمثل ضميراً خطابياً يعبر عن جماعته من المتلقين وهو صادر من الرسول الأعظم (ص).

وهكذا تغطي ضمائر الخطاب على واجهة هذا النص الكريم (آية المباهلة) لتمثيل الخطاب فيه الى خطاب مباشر، وهذا بدوره يميل النص الى نص قوي، فيه كثافة تعبيرية وأسلوبية لا يُستهان بها. بعد ذلك نجد النص (آية المباهلة) ملوناً بضمائر التكلم التي تعزز من واقعية اكدت، وتؤكدده، وتقربه الى ذهنية المتلقي.

فقد وردت ضمائر التكلم في قوله تعالى على لسان الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله وسلم) (ندعُ) (ابناءنا) و(نساءنا) و(انفسنا) و(نجعل) و(نجعل) هذه كلها ضمائر تحمل سمات اشارية، تعود مرجعتها الى سياقات خارجية، متمثلة بال الرسول (صل الله عليه واله وسلم) (أهل الكساء الخمس): فالأبناء هما الحسن والحسين(عليهما السلام) والنساء سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) والانفس الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) والأمام علي(عليه السلام)، وهذه المرجعية مرجعية تلازمية موجودة خارج النص تمثل حقائق خارجية كبرى. غير أنّ اللافت للنظر أن هذه الإحالة المرجعية لا تكاد تنطبق مع النص نحوياً، فالضمير الجمعي في(ابناءنا) يميل الى مثنى(اثنين) هما الحسن والحسين، والضمير الجمعي الآخر في(نساءنا) يميل الى مفرد(فاطمة الزهراء) (ع)، أما الضمير الجمعي الآخر في(انفسنا) فهو أيضاً يعبر عن مثنى(نفس الرسول والأمام علي).

مما يعني هذا وجود عدول في استعمال الضمير الجمعي في هذه المواضع؛ لأنّ الجمع في العربية ثلاثة الى ما فوقها، وخطاب الواحد أو المثنى بلفظ الجمع هو من سنن العربية، غرضه التفضيم والتعظيم⁽⁷¹⁾، وكلّ من التفضيم والتعظيم يتصلان بـ:

أ-المتكلم: أي تعظيم شأن المتكلم وتفضيمه، وقد تمثل بشخص الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وآله الكرام.
ب-الحدث: للدلالة على أن الحدث عظيم، وله من الأهمية بمكان وهذا ما ينوه عليه سياق النص، إذ إن آية المباهلة جاءت فيصلاً بين فريقين، يمثلان الحق والباطل، الأول: فريق آل الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، والثاني فريق نصارى نجران، فأكدت هو لإثبات الهوية الله سبحانه وتعالى و وحدانية، ونفي الالهوية عن النبي عيسى(ع) وإثبات أنه بشر وليس بإله.

ثم تعود الكرة بعد ذلك الى ضمائر الخطاب في قوله تعالى على لسان النبي (صل الله عليه واله وسلم):
(ابناءكم) و(نساءكم) و(أنفسكم)، وهذا التناوب بين ضمائر التكلم وضمائر الخطاب أحدث تقابلاً بين الالفاظ
ومعانيها، وهذا التقابل حصل بين الاضداد، فالأبناء ليس من نسق واحد أو شريحة متماثلة، بل بين نقيضين،
وكذلك الحال مع النساء والانفس.

إنّ هذا التقابل يوحي بالانفصال لا الاتصال، انفصال الأبناء والنساء والانفس الفريق المحمدي عن أبناء
ونساء وانفس الفريق النصراني.

هكذا خطت الضمائر في آية المباهلة نسقها الأسلوبية والدلالي، وعززت من سياق الآية الكريمة التي توحى
بنظائرها اللغوية الى اسقاط زعم النصارى ألوهية عيسى واسقاط حججهم في ذاك الشأن، وانتصار الرسول وآل
الرسول انتصار الحق واليقين.

إنّ تكرار ضمائر التكلم وضمائر الخطاب في نصّ الآية (المباهلة) ابرز هوية النصّ وكشف عن الغاية منه،
فالنصّ غرضه اقحام الخصم وتفنيد مزاعمه، ويكشف عن ضعف حجته، فعمل التكرار هاهنا على تأكيد الدلالات
وتحقيق المعرفة التامة بالنص، وابعاد المعنى عن الغموض والالتباس والشبهة.

وقد جاءت هذه الضمائر منسجمة مع سياقاتها، فحقق النصّ غايته في الافهام والتواصل مع المتلقي، فقد
دلت ضمائر التكلم الجمعي على علو مرتبة المتكلم معية من دخل معه في الخطاب، لتوحى هذه الضمائر
برمتها إلى أن هذا المتكلم يمثل سلطة عليا، ويتمتع بقوة ونفوذ، مما يعني هذا قوة الخطاب ومركزيته وعلو
سلطته وتمكّنه من ذهن المتلقي ومشاركته في الحضور في هذا النصّ.

إنّ تصدر ضمير التكلم الجمعي (ي) في أكثر الفاظ نصّ المباهلة قد أوحى إلى مركزية الذات المتكلمة
ومركزية العناصر الإشارية التي دلت على الحضور والمشاركة الواقعية في الحدث والتصور.
الخاتمة

خلاصة القول في فحوى هذا البحث أنّ النصّ القرآني كلّ حرف فيه يؤدي غرضاً معنوياً ودالياً وبلاغياً في
آن واحد، وآية المباهلة خير بيان على ذلك، إذ أسست الآية الى أنّ قصة المباهلة قادت الى النصر للدين
الإسلامي والرسالة السماوية العليا.

إنّ تتبّع المسارات التوجيهية التي وردت في الآية الكريمة لاستشعار مضامين القصة الواقعية، وهذه القصة
تحمل دلالية في البنية السطحية وأخرى البنية العميقة، فتجلت الغيبات في ضوء البنية العميقة للنصّ القرآني
وكيف كانت موجهة إلى تتبّع الدلالة المعجمية والبلاغة التي تقود الفهم والتصور إلى دراسة الخطاب القرآني
وتحليل آلية البناء اللغوي واستكشاف اسراره ومؤشراته الدلالية المميزة.

تتفاعل قيمة التوجيه البلاغي لتصل بالمتلقي إلى ملامسة الحقائق الوجودية والتكوينية والفنية في أسلوب القرآن الكريم بوصفه الخطاب الإلهي المقدس الذي يرفع شأن القارئ ويفتح أمام عقله مدركات تعبيرية سامية تعجز العقول عن ترجمة أسرار كل حرف من الحروف الخطابية الواعية التي شكلت معجزة الإسلام القرآن الكريم وحي الله في أرضه وكلامه بين عباده.

زخر نص آية المباهلة بالعناصر الإشارية الدالة على الحضور والمشاركة، المتمثلة بضمائر التكلم وضمائر الخطاب، التي عززت من قصدية المتكلم الأول، والتواصل مع متلقي النص، فضلاً عن أثر هذه العناصر الإشارية بتكثيف عناصر الحجاج وإقامة الدليل الدافع للمتلقي الجاهل أو المعاند.

(1) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : 484 وما بعدها ،والكشاف: 168 /1 ، وتفسير القرآن العظيم: 1/ 359 وما بعدها، وتفسير الميزان: 3/ 222 وما بعدها .

(2) يُنظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم : محمود البستاني : 1/108 .

(3) سورة آل عمران: 35 .

(4) سورة آل عمران: 37 .

(5) سورة آل عمران: 38 .

(6) سورة آل عمران: 45 .

(7) سورة آل عمران: 61 .

(8) البنية القصصية في رسالة الغفران: 31 .

(9) يُنظر: نظرية المنهج الشكلي: 204 .

(10) الكشاف: 168 /1 .

(11) تفسير الميزان: 3 / 223 .

(12) المصدر نفسه: 3 / 223 - 224 .

(13) صحيح مسلم، 4 / 1871، وينظر: صحيح الترمذي: 5 / 225 ، الحديث رقم 2999 .

(14) سورة آل عمران: 61 .

(15) يُنظر: مقاييس اللغة: 141 (م: بهل) .

(16) يُنظر: المفردات في غريب القرآن: 73 .

(17) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: مج 2/ 484 .

- (18) سورة آل عمران : ٦١ .
- (19) يُنظر : مفردات الفاظ القرآن: ١٤٩ .
- (20) يُنظر : اعراب آيات القرآن الكريم : ٥٧ . و تفسير التحرير والتنوير : ٣/٥٧ .
- (21) يُنظر : المفردات: 101(م: جعل) .
- (22) يُنظر : تفسير الميزان: 3 / 224 .
- (23) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن: 3 / 484 ، والكشاف : 1 / 168 .
- (24) سورة آل عمران : ٦١ .
- (25) سورة آل عمران : ٥٩ .
- (26) سورة آل عمران : ٦٠ .
- (27) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : الطوسي : مج ٢ / ٤٨٤ .
- (28) يُنظر : تحرير التجبير : ابن أبي الأصبع المصري : ٣٩٣ .
- (29) الإيضاح : ٢ / ٣٤٨ .
- (30) سورة آل عمران : ٦١ .
- (31) تفسير ابن كثير : ٥٧ / 1 .
- (32) يُنظر : مفردات الفاظ القرآن : ٨١٨ (م: نفس) .
- (33) يُنظر : الكشاف : 1 / 368 وتفسير العياشي : ١ / ٣١٢ .
- (34) يُنظر : تفسير القرآن الكريم : عبدالله شبر : ١٠٦ .
- (35) يُنظر : التفسير البنائي : ١٩٤ .
- (36) يُنظر : مقاييس اللغة : 232 (م: حج) .
- (37) يُنظر : المفردات : 115 (م: حج) .
- (38) يُنظر : المعجم الوسيط : 157 (م: حج) .
- (39) يُنظر : التعريفات : 66 .
- (40) المعجم الفلسفي : 67 .
- (41) استراتيجية الخطاب الحجاج ، بلقاسم دقة (بحث) ، مجلة المختبر ، العدد العاشر ، 497 .
- (42) الحجاج والاستدلال ، الحبيب اعراب (بحث) ، مجلة عالم الفكر ، العدد 11 ، يوليو - سبتمبر ، الكويت ، 2001م : 100 .
- (43) يُنظر : مقاييس اللغة : 853 (م: قنع) ، والمفردات : 414 (م: قنع) .

- (44) يُنظر: التعريفات: 146.
- (45) لسان العرب: 4 / 3754 (م: قنع).
- (46) يُنظر: المعجم الوسيط: 763 (م: قنع).
- (47) البلاغة والأسلوبية : 6.
- (48) استراتيجيات الخطاب: 445.
- (49) سورة آل عمران: 61.
- (50) يُنظر: تفسير الميزان : 3 / 222 وما بعدها.
- (51) سورة آل عمران: 61.
- (52) يُنظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة حجج: ٤/٣٨.
- (53) تفسير الميزان: 3 / 223.
- (54) يُنظر : تفسير الميزان: 3 / 224.
- (55) سورة آل عمران: 61.
- (56) سورة آل عمران: 63.
- (57) يُنظر: تفسير الميزان: 3 / 228.
- (58) سورة آل عمران: ٦٠.
- (59) يُنظر: مفردات الفاظ القرآن : ٥٨٤.
- (60) سورة آل عمران : ٦١.
- (61) الكتاب ٢/٦.
- (62) يُنظر: مفتاح العلوم : ٦٦.
- (63) ينظر: موضح أسرار النحو: 25.
- (64) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 110.
- (65) العمدة: 1/ 221.
- (66) يُنظر: البلاغة والتطبيق: 179.
- (67) يُنظر: شرح المفصل: 84١3.
- (68) يُنظر: خصائص التركيب: 187.
- (69) يُنظر: التداولية، أصولها واتجاهاتها: 78.
- (70) المصدر نفسه: 79.

(71) يُنظر: فقه اللغة وسنن العربية: 13 .

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-إعراب القرآن الكريم: أحمد عبيد الدعاس، أحمد محمد حميدان، إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي، دمشق ط 1، 1425 هـ .

-الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت 739 هـ)، تحقيق: لجنة أساتذة كلية اللغة العربية

بالجامع الأزهر، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، أعادت طبعه بالافتتاح، مكتبة المثني، بغداد، د.ط.

-البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، بيروت ، لبنان، ط1،(د.ت).

-التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت 460 هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.ت.

تحرير التحرير، ابن أبي الإصبع المصري(ت 654 هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د. ط، 1963.

-التداولية: أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م.

-التفسير، محمد بن مسعود العياشي(ت 320 هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، طهران، ط1، 1421 هـ .

- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط 1، 1422 .

-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، د.ط .

-تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 2000 م.

-تفسير القرآن الكريم، عبدالله شبر (ت 1242 هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط 1، 2007.

-خصائص التركيب، دراسة تحليلية لمسائل علم النحو، حمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 3، 1980 م.

-شرح المفصل، ابن يعيش(ت 643هـ)، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2001 م.

-العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني(ت 39 هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت- لبنان، ط ع، 1972 م.

- الكتاب، سيبويه(ت180 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ط2، 2017 م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ت538 هـ)، انتشارات آمتاب، طهران، د.ط، د.ت.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري(ت 711 هـ)، دار بيروت، ودار صادر، بيروت، د.ط، 1968.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الدار للثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1994 م.
- مفتاح العلوم، السكاكي(ت 626هـ)، علق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، 1987 م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت 425 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط.ع، 1425 هـ.
- موضع أسرار النحو، الفاضل الهندي(ت 1135 هـ)، دراسة وتحقيق: د. علي موسى الكعبي، مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت، كربلاء المقدسة - العراق، ط 1، 2015 م.

Sources and references

The Holy Quran-

Parsing of the Holy Qur'an: Ahmed Ubaid Al-Daas, Ahmed Muhammad - Humaidan, Ismail Mahmoud Al-Qasim, Dar Al-Munir and Dar Al-Farabi, Damascus, 1st edition, 1425 AH.

Clarification in the Sciences of Rhetoric, Al-Khatib Al-Qazwini (d. 739 AH), - edited by: Committee of Professors of the Faculty of Arabic Language at Al-Azhar Mosque, Sunnah Muhammadiyah Press, Cairo, reprinted with offset, Al-Muthanna Library, Baghdad, d.d.

Rhetoric and Application, Dr. Ahmed Matloub and Dr. Kamel Hassan Al-Basir, - Modern Beirut Press, Beirut, Lebanon, 1st edition, (ed.).

- Al-Tibyan fi Tafsir al-Qur'an, Abu Jaafar Muhammad bin al-Hasan al-Tusi (d. – 460 AH), edited by: Ahmad Habib Qasir al-Amili, Dar Ihya' al-Arabi al-Turath, Dr. I, D.T.
- Edited by Al-Tahbir, Ibn Abi Al-Asba' Al-Masry (d. 654 AH), edited by: Hanafi Muhammad Sharaf, Committee for the Revival of Islamic Heritage, Cairo, Egypt, Dr. I, 1963.
- Pragmatics: Its Origins and Trends, Jawad Khatam, Dar Treasures of Knowledge, Amman, Jordan, 1st edition, 2016 AD.
- Interpretation, Muhammad bin Masoud Al-Ayashi (d. 320 AH), edited by: – Department of Islamic Studies, Al-Ba'ath Foundation, Tehran, 1st edition, 1421.
- Structural Interpretation of the Holy Qur'an, Dr. Mahmoud Al-Bustani, Islamic – Research Academy, Mashhad, 1st edition, 1422.
- Interpretation of Liberation and Enlightenment, Muhammad Al-Taher bin Ashour, – Tunisian Publishing House, ed
- Interpretation of the Great Qur'an, by Imam Ibn Kathir, edited by: Abu Ishaq Al--Huwaini, Dar Ibn Al-Jawzi, Saudi Arabia, 1st edition, 2000 AD.
- Interpretation of the Holy Qur'an, Abdullah Shubar (d. 1242 AH), Dar Revival of – Arab Heritage, Lebanon, 1st edition, 2007.
- Characteristics of structure, an analytical study of grammar issues, Hamad – Muhammad Abu Musa, Wahba Library, Cairo, Egypt, 3rd edition, 1980 AD.
- Sharh al-Mufasssal, Ibn Ya'ish (d. 643 AH), edited by: Emil Badie Yaqoub, Dar – al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2001 AD.
- Al-Umdah fi Mahasin Al-Sha'ar, Its Literature, and its Criticism, Ibn Rashiq Al--Qayrawani (d. 39 AH), edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Dar Al--Jabal, Beirut – Lebanon, ed., 1972 AD.
- Al-Kitab, Sibawayh (d. 180 AH), edited by: Abdel Salam Haroun, Egyptian – General Book Authority, Cairo – Egypt, 2nd edition, 2017 AD.

- Al-Kashshaf fi Haqiqat al-Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of – Interpretation, Al-Zamakhshari (d. 538 AH), Amtab Publications, Tehran, d.d., d.d.
- Lisan al-Arab, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Manzur – al-Masri (d. 711 AH), Dar Beirut, and Dar Sader, Beirut, D.D., 1968.
- The Arabic language, its meaning and structure, Dr. Tammam Hassan, House – of Culture, Casablanca, Morocco, 2nd edition, 1994 AD.
- Miftah al-Ulum, Al-Sakaki (d. 626 AH), commented on by: Naeem Zarzour, Dar – Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 2nd edition, 1987 AD
- Vocabulary of the Words of the Qur'an, Al-Raghib Al-Isfahani (d. 425 AH), – edited by: Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam, Damascus, Dar Al-Shamiya, Beirut, ed., 1425 AH.
- The subject of the secrets of grammar, Al-Fadil Al-Hindi (d. 1135 AH), study – and investigation: Dr. Ali Musa Al-Kaabi, Imam Hussein Scientific Complex for the Investigation of the Heritage of the People of the House, Holy Karbala – Iraq, 1st –edition, 2015 AD